



مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

بيداغوجيا الإدماج : من التجزئ إلى التركيب 

وقفة نقدية حول تنزيل مشاريع البرنامج الاستعجالي 

الإصلاح التربوي بالمغرب : من المقرر إلى المناهج 

البيداغوجيا النشيطة وقلب الأدوار داخل الوضعية... 

مهام هيئة التفتيش التربوي 



العدد الرابع والأربعون - يوليو 2010

العلاقات التربوية والبيداغوجية

من التحكم القهري إلى الحرية والإبداع

✍️ الحسن وزين *

مداخل مترابطة معقدة وجدلية

(يحذر العقل المنبثق الجديد من التورط مرة أخرى في بناء منظومة معرفية أصيلة ومؤصلة للحقيقة. لماذا لأنها سوف تؤدي لا محالة إلى تشكيل سياج دوغمائي مغلق من السياجات التي يسعى هو بالذات للخروج منها. وبالتالي فهو يرفض خطاب المنظور الوحيد لكي يبقى المنظورات العديدة مفتوحة. كما انه يحرص على ممارسة الفكر المعقد لأنه يحترم تعقد الواقع ويتبناه. ويذهب في ذلك إلى تجريب الفكر الافتراضي لكي يفسح المجال لجميع أنواع ومستويات التساؤلات والإشكاليات.¹

ما الذي يجعل أسئلة كثيرة «معقدة ومختلفة تتوالد في الدهن ونحن نفكر» في موضوع العلاقات التربوية والبيداغوجية إلى درجة يصعب البدء بطرحها بشكل متزامن «مما يدل على تعقد الواقع المدرسي والمجتمعي وسياق المرحلة التاريخية واللحظة الحضارية. هل لان متغيرات كثيرة ومتشابكة إلى حد الترابط والتمفصل المتفاعل تفرض نفسها بإلحاح موضوعي وعلمي» أي أن تناول الموضوع اليوم وفي شروط الانفجار المعرفي والتقدم العلمي التكنولوجي والثورة المعلوماتية وفي ظل شروط وظروف وحدة السوق العالمية أي ما صار يعرف بالعولة «كل هدا» يستلزم تغيير المنظور والرؤى والمفاهيم وعلاقتنا بالأفكار السابقة والسائدة من اجل الإحاطة الشاملة والكاملة بكل أبعاد ووجوه الموضوع (وعلى مدى فترة

* ممارس تربوي (تغيير).

تاريخية طويلة تولت المؤسسات الاجتماعية الثقافية وفي مقدمتها الأسرة والمدرسة مهمة إنتاج القيم اللازمة لإشباع الاحتياجات المعرفية والرمزية والروحية للمواطن العربي أما اليوم فلم تعد تلك المؤسسات قادرة على أداء الدور ذاته بالفعالية نفسها لأسباب منها تفكك نظام الأسرة وانهيار النسق القيمي تحت وطأة الاختراق الخارجي هذا فضلا عن قصور السياسات التعليمية على مستوى التخطيط والتنفيذ² فالوعي بالانقلاب الجذري في المعايير والانتماءات والأطر التقليدية الثقافية والاجتماعية بالإضافة إلى بروز فاعلين جدد لهم دور كبير في التربية والتعليم كالإعلام والقنوات الفضائية والانترنت حيث (العالم اليوم يصنع ويتوحد عبر الأقمار الصناعية والطرققات الإعلامية والثورات الرمزية والنصوص العددية الفائقة التي تجوب الأرض بسرعة الضوء ومن هنا تغير الممثلون واللاعبون على المسرح فالعالم يصنعه اليوم رجال الاقتصاد الناعم ومالكو شركات الإعلام والدين يحتلون الشاشة من فنانيين وسياسيين أكثر مما يصنعه المثقفون)³ هذه المعطيات الجديدة تعطي راهنية للتفكير الايجابي في موضوع العلاقات التربوية والبيداغوجية.

هذه عناصر توجيهية إرشادية لكل إستراتيجية تريد فهم وضبط الموضوع، والسيطرة عليه معرفيا قصد بلورة فكر خلاق وعميق قادر على اقتراح إجابات موضوعية ومفتوحة للاغناء والتطوير لأغلب المعضلات والمشكلات التربوية والبيداغوجية.

أولا التحكم القهري

أ- من المنزل وفي الطريق إلى المدرسة

1- الإقصاء أو الاعتراف المشروط

يتعرض الطفل مند ولادته لأنماط من الإقصاء والتكرار حيث لا يعترف به ككائن إنساني مستقل فدلالته بالنسبة لوالديه تتراوح بين القبول والرعاية المشروطة أو الرفض والإهمال. وكثيرا ما يلبي الطفل رغبات وتمثلات الوالدين وكثيرا أيضا ما تكون هذه الرغبات والتمثلات مختلفة ومتناقضة يتخذ فيها الطفل صورة الأداة أو الوسيلة. ولا ننسى أن الأسرة والأهل يتسابقون في جعل الطفل نسخة للأب أو الأم.. يشبه الأب، الأم، الخال..

2 - الطفل الضحية

جميع المشاكل التي يتعرض لها الطفل فهو يمثل الطرف الضحية المعتدى عليه يقال له مثلا: حرقته النار. فجميع أثاث المنزل يعتدي عليه ضربته الطاولة، ضربه الكرسي، ضربه الحائط.. وكلما كبر يجد دائما مبررات لأخطائه ولا مسؤولية فيقال أيضا ضربته الدراجة أو السيارة. وغالبا ما نسمعه يقول كلما تأخر عن الحضور في الوقت المحدد إلى المدرسة « دخلوا علي المدرسة» فعوض أن يتحمل مسؤولية تأخره لتصحيح نفسه فهو يحمل الخطأ للمؤسسة والتلاميذ الذين لم ينتظروا وصوله ولو تأخر بساعة أو أكثر. وعندما يصير رجلا أو امرأة يعيد إنتاج نفس اللغة والخطاب وهو خطاب الضحية والمؤامرة واللامسؤولية فيقول في بعض المواقف مثلا « صلوا علي العصر أو خلاني الكار: تركتني الحافلة». كما ينهي التزاماته بكلمة إنشاء الله (حتى أنني اشك في أن تكون إنشاء الله التي نردف بها كل اتفاق أو وعد صادرة عن إيمان حي وليس عن تجنب للمسؤولية بتركها لمن وسع صدره.. إلى متى)⁴. هكذا تعمل اللغة على تشكيل الأفق الذهني والبنية النفسية وتكوين شخصية لا تعرف الاستقلال، اليقظة، المسؤولية، الاعتراف بالخطأ، الملاحظة والنقد الذاتي...

3 - الاستماع والطاعة

عليه أن يحسن الاستماع للأوامر والنواهي وتشرّب التقاليد والعادات والأعراف. ويقلد الكبار في تصرفاتهم وكلامهم بصوت خافت خجول دليلا على الحياء والأخلاق الحسنة. والأسلوب الوحيد المتبع في تنشئته هو أسلوب التخويف وخلق الرعب في نفسيته بصورة لا تخلو من العنف الرمزي الذي تمتد آثاره خلال مسيرة حياته. التخويف بالله، الغول، الجن، جهنم والكلاب.. تتم تربيته وفق ثنائية (إما أو) قم بهذا العمل أو سأضربك. لغة العصا والضرب والتهديد لا تترك مكانا لخيار ثالث أو أكثر لهذا تكون دهنيته ضيقة محدودة وشخصيته متصلبة انفعالية، لا تقبل النقاش العقلاني أو الحوار الهادئ. ولا مجال للشك أو التساؤل (فلا بد أن يكون للمسلم المتبع جسم اجتماعي خارجي بشكل كامل. وبما أن الداخل غامض مرتبط بالنفس الأمانة بالسوء فلا يجوز أن يكون له داخل خصوصا أن العالم الداخلي عالم خارج الشريعة إلا اذا كان مبنيا بها أي بالأوامر والنواهي الدينية. فالجواب عن سؤال كهذا السؤال مثلا كيف يجب أن أحيا جسدا وروحا لاتقدمه الحرية الشخصية أو التجربة الذاتية ولا يقدمه العلم أو الفلسفة وإنما يقدمه الدين حصرا)⁵. وان الناس ينقسمون إلى المرضى والمسخوط فالطاعة العمياء هي طريق الخلاص والفوز برضا الوالدين، الفقيه، المدرس

والمسؤول...فرضاهم من رضا الله. يشحن بثقافة هي عبارة عن جهل مؤسس. فنترسخ في دهنيته كيقين مطلق يوجه سلوكا ته ومواقفه ويحدد نمط وجوده ورؤيته لذاته وللناس والعالم. ثقافة هي بمثابة آليات تشتغل لإيقاف التفكير والحد من الانطلاق والانفتاح والابتعاد عن الجرأة في اقتحام المجهول أو طلب المغامرة والمخاطرة، كأسلوب للتجريب والاستكشاف فيكتسب العجز المتعلم إلى درجة التبليد. تحركه مرجعية خارجية وليس نتيجة منطلق داخلي نقدي لفرديته وذاتيته فهو بعيد عن أي حوار داخلي نقدي يتخذه أسلوبا للتقييم ومحاسبة الذات كمراجعة نفسية فكرية لبعض أفكاره وسلوكا ته ومواقفه. مما يحول دون نضجه النفسي في الوصول إلى الاستقلالية والرشد من خلال نمو مركز ضبط داخلي يشكل قناعاته وخياراته الذاتية وقوة شخصيته في تحمل الضغوطات ومقاومة الإغراءات وحل المشكلات واتخاذ القرارات الصائبة⁶ يعجز عن ذلك كله لسبب بسيط وواضح فهو ليس فردا ولا ذاتا. (علما أن الفردية كمفهوم غير محدد بالثقافة العربية. هناك جماهير ورعية)⁷ نحن نشير بهذا التحليل إلى أن التربية، التعلم، التعليم والمعرفة في وضعية العلاقات التفاعلية التربوية والبيداغوجية يتم استيعابها وإدماجها بفكر ضمني تشبع به الطفل خلال مسار تنشئته. مما يجعل المسألة التربوية البيداغوجية صعبة ومعقدة. فالفكر التربوي له أسس تشاركية مع الخطاب العلمي والتنشئة عندنا لها أسس دينية ثقافية وفق تأويل معين للدين يعيق التحول والتحديث في التصورات والمفاهيم (وكل فرد لا يملك لغته الخاصة الفريدة وطريقته التعبيرية الفريدة لا ذاتية له. خصوصا أننا لا نعرف الإنسان إلا من لغته. فكيف تقدر اللغة اللادائية اللاشخصية أن تعكس وعي الشخص-الذات)⁸ فجميع المشاكل الصحية والاجتماعية التي يتعرض لها الطفل في حياته، فهو قد تعلم أن يقدم لها تفسيرا واحدا أنها العقاب الذي يستحقه بسبب تمرده وجرأته في اختراق الممنوع والمألوف أو نتيجة شكه وكثرة أسئلته المخرجة لوالديه. فهو كثيرا ما يسمع «خدا فيه الله الحق» فما من مشكلة إلا وهي بسبب السخط مما يجعله رهينة المكتوب، التابعة، وقد يحسمون أمرهم بالقول له «التربية من عند الله» وذلك تهربا من المسؤولية والمحاسبة. فيسهلون عليه مستقبلا تبرير فشله المدرسي المهني. إنها مسألة أرزاق. نحن أمام مسألة جد معقدة خصوصا في الظرف الراهن بمعطياته العالمية علميا ومعرفيا وتكنولوجيا واقتصاديا... وضعية تناقضية مأزقية بين اللافردية واللاذاتية، وبين ممارسات تربوية بيداغوجية تؤكد على تنوع أنماط التعلم حيث (بدأت التربية تهتم بالمعلم باعتباره فردا بدلا من اعتباره رقما بين مجموعة من المتعلمين الذين يجلسون في صف واحد)⁹ من هنا تتأسس ضرورة أخذه بعين الاعتبار عند تعليمه واستحضار أن (الخريطة الدماغية- وليس الذكاء- تختلف من طفل إلى آخر باختلاف المناخ الثقالي والاجتماعي الذي

أحاط بنموه وزوده بالمقاربات الفكرية وأنظمة الإدراك المختلفة)¹⁰ والأبحاث العلمية في هذا الاتجاه قطعت مسارا مهما في مجال دراسة المخ البشري، وذلك لتطوير الرأسمال البشري كقدرات معرفية علمية من خلال الاهتمام بتربية الطفولة. (فالخطاب العلمي يرافق هذه التحولات بمعنى انه حصل ذلك بعدما انتقل حقل السببية من القدرة الغيبية إلى القدرة العلمية التي تخضع للتجربة والبرهان ونتاج العلم ملموس سواء في الطب في التكنولوجيا وفي كل مجالات الحياة التي تسخر الطبيعة لخدمة الإنسان)¹¹.

ب- في المدرسة أو المناخ التربوي في المدرسة

1- ممارسة النقد الذاتي: هل يمكن التستر على القمامة وماذا نفع للرائحة

إذا أردنا أن يزهر تفاؤل الإرادة فلا بد أولاً أن نمارس الكثير من تشاؤم العقل ونبحث ماداً يحدث في مؤسساتنا التعليمية. من الصعب جداً أن نزعم بان الذهنية المرنة الخلاقة والمبدعة أو العقلية العلمية النقدية والحوارية هي التي تسود في مؤسساتنا. نجد الغياب الكلي للتفكير الجدلي الاحتمالي والخيالي الذي تؤطره خلفية نظرية معرفية تربوية وبيداغوجية. فمثلاً التلميذ الذي لا ينتبه هو تلميذ كسول أو بليد... يتم التعامل معه بلغة القطيع وشتى أنواع العنف اللفظي. وأحياناً يمارس في حقه العنف الجسدي بنية حسنة هدفها ضبط الشرود الذهني والحالات النفسية الانفعالية والاضطرابية بالسلط والقهر، فغالبيتها المدرسين لا تعرف أن (هناك فترات زمنية تبدو أفضل من غيرها للانتباه والاستيعاب والتذكر واستخدام قدرات الفهم والسلوك الهادئ وذلك لدى معظم التلاميذ أو لدى أغلبهم وفي موازاة ذلك هناك فترات أخرى تبدو غير جيدة أو تتميز باستحالة القيام بأي نشاط بيداغوجي)¹² فحين تنعدم أو تضعف العدة المعرفية والتأهيل العلمي فإن الموقف لا يسمح بطرح الوجوه الأخرى والأسباب المفترضة لأي شرود أو سلوك غير مرغوب فيه. كما أن المقاربات الجديدة الرسمية لم يحصل في شأنها التكوين الأساسي ولا المستمر حتى يتم تفعيلها إدارياً وتربوياً. فالمدرس والتلميذ ينتميان إلى فضاء اجتماعي ثقافي اشرفنا إلى بعض ملامحه سابقاً، ينتج ويقول البعد النفسي والذهني. فثقافة الخوف والإخضاع تتغلب على ثقافة الجرأة في السؤال والشك والمشاركة والحرية والمبادرة والإقناع. وما يحدث في المدرسة يعكس إلى حد ما مسارات مجتمعية أخلاقية وثقافية لغوية ودينية تتضافر كلها في بناء الشخصية وتشكيل الإدراك. مما يتطلب تحولات تأسيسية وموازية لما يرغب فيه أن يحدث في المدرسة من تفكير جدي حول إصلاح المنظومة التربوية (إن التعلم الذي يستهدف تحقيق البقاء مع الكرامة لا يمكن

تتميته وتشجيعه في فراغ. يربط المرابي المكسيكي tablolatapi مفهوم التعلم بأربعة جوانب من النشاط يكمل بعضها بعضا وهي ضرورة للنمو البشري الحقيقي. هذه الجوانب هي التحول المادي، تحول البنى الاجتماعية، تحول في العمليات الاجتماعية السيكولوجية مما يصاحب التغيرات في البنى الاجتماعية)¹³

2 - التلقين أو عمامة الفقيه

فهو ممارسة فقهية سماعية تنتمي إلى الثقافة الشفوية. والتلقين له علاقة بمرحلة تاريخية حيث السيادة للرواية والمخطوط وندرة الكتاب. كما له علاقة بالتواصل العمودي السائد مجتمعيا. يصل الطفل إلى المدرسة وقد تم إعداده لتقبل التلقين والخوف من الحياة والسلطة. يدعو الله أن يبعد عنه المجهول فهو غير مستعد للبحث والسؤال لذا يميل إلى الهدوء والاستقرار والمألوف وينفر من التغيير (حياة العربي تبدأ وتنتهي بالتلقين أما العنصر المشترك بين التلقين والعقاب فهو أن كلا منهما يدفع إلى الاستسلام، يشدد ويمنع حدوث التغيير)¹⁴. كما أن التلقين مرادف للمطلق على المستوى المعرفي. ويتضمن أيضا كل معاني الهيبة والسلطة والمكانة العالية. فسلطة الكلام ينفرد بها الملقن. (إن أي خطاب لغوي سيكون عرضة للفشل اذا لم يكن صادرا عن شخص يمتلك سلطة الكلام)¹⁵ ولو كان يقوم بإعادة إنتاج معارف متقدمة بطريقة نمطية تكرارية. ففي اللغة اليومية لا نقول عن إنسان بان له كفاءات أو كفاء بل نقول عن المدرس، الكاتب والمفكر «عامر» أي مملوء كمكتبة متنقلة. يعجز عن التعامل المنطقي والمنهجي الوظيفي معها والانتقاء النقدي لما يصلح لحياته أو تطوره الفكري أو لتوليد معرفة جديدة تناسب تحديات ومشكلات جديدة (طابع عام يكاد يميز كتابنا المعاصرين على ندرتهم هو اتفاقهم المطلق مع ما سبق أن كتبوه. فأنت لا تكاد تجد أي منهم يتنكر لما سبق أن أكده منذ عقدين أو أكثر من السنين. وهو يعود بك إلى ما كتبه في الستينات أو السبعينات دون أدنى تحفظ أو مراجعة أو إعادة نظر)¹⁶. وحتى وزارتنا لا تزال متمسكة بلغة التلقين حيث يقول البرنامج الاستعجالي في طبعته الجديدة ، في تحقيقه ضمان القيام بمراجعة المناهج الدراسية لتحقيق جودة التعلم انه سيتخذ مجموعة من الإجراءات من ضمنها (تقليص الزمن المخصص لتلقين المواد الدراسية والتركيز على تلقين التعلّمات الأساسية)¹⁷.

3 - دفتر الدروس والملخصات أو اغتيال العقل

(ان ظاهرة اللفظية تعد إحدى المشكلات البارزة المرتبطة بالسلطوية التي تعاني منها معظم النظم التربوية والتعليمية العربية. فالعملية التعليمية العربية بشكل عام تقوم على اللفظية شرحا وتوضيحا وتلخيصا وتلخيصا للتلخيص وخطبا أما نصيب العمل قليل)¹⁸. لان ثقافة التلقين تنطلق من النص لتعود إليه فهي لا تؤمن ببناء المعرفة، تطويرها، تعديلها، مناقشتها، نقدها أو نقضها وتجاوزها لتوليد معرفة جديدة. فالمتعلم عندنا يرث دفاتر الملخصات ممن سبقوه وينقل أكثر مما يبدع. لان التلقين لا يترك مجالاً لعلاقات تربوية تواصلية بناءة. وليس غريباً أن تنتشر ثقافة الغش لان أسلوب «بضاعتنا ردت إلينا» هو السائد. وحتى الاستثناءات القليلة التي تمردت وتمرست في تعلمها على المنهجيات الحديثة في بناء المعرفة وتوظيفها غالباً ما يكون مصيرها الفشل. إن الكثير من المنقطعين عن الدراسة ليس لأنهم لايسايرون بل لان التعليم لايسايرهم. ولا ننسى أن طلابنا في الجامعات يتشبثون بالتلقين أي بدفتر الدروس. يعجز الكثير منهم عن ممارسة التعلم الذاتي والبحث.. (والتعليم الحق ادن لا يقتصر على نقل المعرفة أي إكساب المعرفة القائمة بالفعل وإنما في جوهره إكساب القدرة على إنتاج المعرفة وتنظيمها وإعادة صياغتها وذلك من اجل تعظيم الاستفادة منها بما يؤدي إلى حكمة التفكير وإتقان العمل واستمرار التنمية الذهنية)¹⁹ وفي هذا السياق تدرج كذلك المدونات الرسمية المغلقة التي تسيج وتضبط مجال التحرك والمبادرة والانفتاح المعرفي والعلمي والاجتهاد. نشير هنا إلى ما يسمى الدلائل البيداغوجية التي أصدرتها الوزارة لتصادر التنوع وحركة البحث والاغناء خوفاً من تجربة الكتاب المتعدد. إلى درجة أن الكثير من المدرسين والإداريين يتعاملون معها كدفتر الملخصات فيحفظونه دكا دكا.. لأنه يضمن الترقية المادية في نظرهم حيث يعتمد عليه في أسئلة المباريات المهنية. وبعد تحقيق الغرض في الامتحانات الاشهادية والمباريات المهنية ينسى التلميذ والمدرس مضامين دفتر الملخصات. وفي ذلك قوته وسلطته لا يقبل باتساع الفضاء لمدونات أخرى. فيتم إحراقها بتكريس إحداها سلطة أحادية مهيمنة وهذا ما حدث للمدونات والاقتراحات، التي رافقت بداية التحضير لميثاق التربية والتكوين. وهذا الأخير دخل مؤخراً في دائرة الناسخ والمنسوخ.

4 - بناء المدرسة أو المحجز

غالباً ما تكون المدرسة أقدم من الإعدادية والثانوية لكن على مستوى البناء والهيكلية المعمارية كبعد نفسي تربوي إنساني فالمدرسة تبدو كسوق أسبوعي او محجز لمخلفات الماضي

المهترئة. والاقسام ذات البناء المفكك القاسية شتاء وصيفا. إلى جانب غياب قاعة للمدرسين والمكتبة. وللأسف هذه ظاهرة عامة في المدن والقرى إلى درجة تجعل المواطن يميز المدرسة من الإعدادية... ونستغرب حقا ضيق ساحة المدرسة وغياب ملاعب للتربية البدنية. .. من هنا يبدأ وجود وحضور الطفل وليس الصغير.. البرهوش.. البز... كما يقال عادة. ضروري أن تؤخذ بعين الاعتبار حاجات الطفل البيئية والجمالية فمدارسنا لا تعبر صراحة عن التأسيس الفعلي لمفهوم الطفل والطفولة كمرحلة أساسية في حياة الإنسان. (مفهوم الطفولة يعتبر من المفاهيم الحديثة أو التي تم التوصل إليها بفعل مجموعة من الاجتهادات التي أبانت عليها بعض الدراسات النفسية الاجتماعية والتي برزت تبعا للتحويلات الاجتماعية إضافة إلى متطلبات العصر باعتبارها معطى حضاريا وثقافيا يعطي للمجتمعات المتطورة تاريخيتها)²⁰

5 - التشريع المدرسي أو الطفولة المغتصبة

إن الهدف من التطرق إلى هذا العنصر هو أننا ننطلق من فرضية مفادها أن المشرع يتبنى تصورا سلبيا تجاه الطفل، فهو ينظر إليه كصغير بالمعنى القدحي السائد مجتمعيًا، حيث يتحول الطفل إلى لغة للسب والشتم أي برهوش.. ومن ثمة فهو لا يحتاج إلى أكثر من المراقبة والعقاب. وبالتالي فإن مدرس الابتدائي لا يحتاج إلى هذه الثورة المعرفية والعلمية. وتأسيسا على هذه الرؤية نستخلص التمييز التربوي الذي يعاني منه استناد التعليم الابتدائي فالفرص والإمكانات المتاحة لباقي الأسلاك الأخرى يحرم منها كالتخطيط والتوجيه والتبريز... وغالبا ما يكون المستوى الثقافي واحدا إما باكالوريا أو إجازة. ونضيف أيضا البون الشاسع على مستوى التعويضات الإدارية والتصحيح... ونتيجة هذا الغبن لاحظنا نفورا عارما من هذا الإطار، وانخراط أصحاب الشواهد العليا في نقابات من أجل تغيير الإطار، والالتحاق بالإعدادي أو الثانوي. ونحن نؤكد هذه المعطيات فإننا لا نعتقد بان الاستاد في الأسلاك الأخرى في وضعية يحسد عليها وإنما نتتبع الأبعاد الخفية لتكريس العقلية المتخلفة ضد الطفل والطفولة كمرحلة أساسية ومهمة في بناء الإنسان. من هنا تبدأ مسألة جعل الطفل في قلب العملية التعليمية التربوية أي الاعتراف بإنسانيته وقيمه وكرامته أولا. ومع نموه ستأخذس المراحل الأخرى أبعادها الإيجابية كذلك، كالمراهقة مثلا عوض أن تكون رجسا أو لعنة. ونقدم مثلا آخر، إلى ما نهدف إليه من خلال هذا التفكيك والبحث في ثنايا الفكر الضمني أو ما يسمى باللاشعور الثقافي للمشرع الذي لا يعترف إطلاقا بإنسانية الطفل ولا التأسيس المعرفي والاجتماعي لمفهوم الطفولة، من خلال إبراز كيفية اشتغال هذا

اللاشعور الثقافي انطلقا مما يخفيه دفتر نظام الحالة المدنية من صورة سلبية تجاه المرأة (فالحيز الوثائقي المخصص لرسم الزوجة أربع رسوم والدي ينسجم مع مقتضيات الأحوال الشخصية. يعكس القوانين الاجتماعية التي تحكم سوق الاستراتيجيات الزوجية. ولاشك أن اللافت للانتباه في هذا الباب هو الجمع بين الطلاق كسيرورة اجتماعية وبين الوفاة كسيرورة بيولوجية في بيان واحد وعدم إفراد حيز لكل واقعة على حدة... وحينما يكرس الدفتر العائلي للحالة المدنية ذلك الربط الوثائقي بين الطلاق والوفاة في رسم الزوجة. فإنما يؤكد بذلك سواء في حالة الوفاة أو الطلاق حدث وفاة اجتماعي - بيولوجي للزوجة بالنسبة لصاحب الدفتر)²¹ هذه هي جذور شرعية وتشريع العنف ضد المرأة والطفل ومن هنا يبدأ الاعتراف الحقيقي بإنسانيتهما وكرامتهما عوض تكريس التصورات والسلوكيات السائدة في المجتمع.

ج) وماذا أيضا

إطالة سريعة على الديناميات النفسية للمدرس تبين أنه يشكو من إحباط لانتهائي حيث نشأ وتعلم تبعا لعقلية تفكر بشكل أحادي فالحيمنة للجواب الواحد الصحيح بلغة أسطورية إيمانية لا يترك فيها اليقين مجالاً للجدل والحوار أو التواصل الهادئ المبدع. كما أنه يشغل في غياب البعد المؤسسي الوظيفي فهو يعاني من غلبة تقويم الولاء على تقويم الأداء وسيادة الترهل المعرفي (يتحول الرئيس - المدير وما فوقه - من شخص مسؤول وظيفيا إلى صاحب نفوذ يعيد إنتاج علاقات الأسرة الممتدة)²² ففي غياب تكوين معرفي وعلمي لدى الجميع المدرس، المدير والمفتش... يسمح بموضعة جميع المشاكل والصعوبات التي يصادفها ويعيشها يوميا المدرس في علاقته بالتلميذ يصعب أن نتظر منه أن ينخرط في تفاعلات بناءة منمية له ولتلاميذه. حيث الإثراء المعرفي والنفسي المتبادل بينهما من خلال النقاش الحر والنقدي وفق قناعة تؤمن بالتطور والتغيير. فالمعرفة لا تتقدم ولا تزدهر إلا من خلال نقدها ونقضها باعتماد أسلوب الحوار والاخذ والعطاء، وتشجيع المبادرة وجرأة السؤال والبحث (ذلك أن المعرفة لا تتحول إلى نظام معرفي أي بناء شبكات عصبية - ذهنية إلا من خلال المشاركة والممارسة والشغل الذهني النشط)²³ وهذا لن يكون إلا اذا حسمت المدرسة مع طرقها البالية وأشكال التعامل والتواصل والتفاعل والعلاقات المتجاوزة. فلا بد من تغيير المواقف والاتجاهات والأفكار لدى الاستاد والإدارة والمشرف التربوي...

ثانيا الحرية والإبداع

1 - جدل الحرية والإبداع

(إن ولادة الحرية وتبلور مقولتي الحرية والتفكير الشخصي غير الإملائي ليست مكتسبات سهلة المنال بل هي معطيات عسيرة التبلور لأنها رهينة بتحولات سوسولوجية وبتحولات فكرية عميقة. تمثل فكرة الحرية واستقلالية الفرد عمليتين عسيرتين وطويلتي الأمد. ويتزايد عسر وعناء هذه العمليات عندما يتعلق الأمر بمجتمع لا يتطور ذاتيا وتلقائيا بل بفعل قوى ومؤثرات خارجية يختلط فيها التحول بالرضة وتعاش فيها الحداثة كصدمة وتقترن فيها صدمة الحداثة بصدمة الاستعمار مع ما يتولد عن ذلك من ردود فعل ذاتية وانبعاث قوى التقليد. فكرة الحرية الشخصية هاته لم يكن من اليسير تقبلها من طرف الثقافة العربية الحديثة إذ فهمت الحرية الفردية على أنها مروق واستهتار وخروج عن المقدسات)²⁴ والحرية هي اللاخوف أو غياب الخوف في اللغة والثقافة وفي نمط الوجود. فبنية الخوف عندنا كأطر ثقافية ومجتمعة هي التي تشكل الطفل منذ ولادته ونشأته الاجتماعية. مما يجعل أولى مهام المجتمع والمدرسة هي تحرير الطفل من الخوف والاعتراف به ككائن إنساني له قدرات واستعدادات واقعية وخيالية تؤهله للتعلم والتواصل وتأسيس علاقات تفاعلية مع بيئته ومجتمعه (فقد زاد الاهتمام في الغرب بتربية الطفولة ومن أهم منطلقاتها هو التخلص من تلك المفاهيم الخاطئة. منها ما يخص متى يبدأ الطفل رحلة تعلمه التي تثبت يقينا خلافا لما سبق أنه يبدأها بعد الأشهر الستة الأولى. وأن الطفل من الثالثة إلى السادسة يكون أكثر إبداعا من مراحل العمر التالية)²⁵ من هنا ضرورة الانطلاق من الأسئلة التي تؤرقه وتملأ حياته تفكيريا وخيالا وهواجس. وتربيته على البحث والمقارنة والنقد والتحليل ومحاكمة الأشياء والعلاقات. انه في حاجة إلى الكثير من التواصل والحوار التشاركي كمساهم ومنتج للدلالة والمواقف والاختيارات. نعرف انه ليس من السهل التحرر من ثقافة الخوف المولدة للانغلاق والانكماش كأسلوب لتحاشي الآخر. فالطفل بحاجة إلى الاعتراف بالمشروط والتقدير الايجابي للشعور بالطمأنينة والتقبل كقاعدة نفسية للتفتح والانطلاق. (أن نمارس حريتنا هو أن نعمل على تمكين آليات عجزنا لتغيير قواعد اللعبة بتشكيل عوالم ومجالات وابتكار أساليب ولغات أو اختراع وسائل وأدوات أو خلق موارد وفرص تحدث تحولا في الفكر وتسهم في تغيير الواقع بقدر ما تمتلك هي نفسها وقائعيتها) وفي الوقت الراهن بحكم معطياته العلمية التكنولوجية والمعرفية المعلوماتية لم يعد هناك أمل في البقاء والوجود لمجتمع تسود فيه ثقافة الخوف من الآخر والمجهول أو من المبادرة والمخاطرة. وأيضا ولي زمن الانغلاق كاختيار وتوجه فلم تعد

هنا حدود تسيج الذات والمجتمع ولا حجابا يستر عورة التخلف والتسلط. فتلك علامات غياب الذات المؤهلة والمستقلة الحرة ذات العقل النقدي القادرة على أخذ المسافات النقدية دون التماهي والاستلاب بما تقرأ أو تشاهد. تحاور بندياً لأنها تملك حريتها. إن الوعي العلمي المعرفي، لا الايديولوجي الذي يكتفي باختزال مشكلات التعليم في شعارات المساواة، تكافؤ الفرص والتعليم للجميع فيتحايل على التغيير وإبداع رؤى وأفكار وتصورات جديدة باعتماده سؤال العدالة يشبه إلى حد ما خطاب فكر عصر النهضة العربي الذي كان ولا يزال يبحث عن المستبد العادل أو تحسين شروط وظروف الظلم. نمط تفكير واحد ينعكس عند مقاربتة لإشكاليات المجتمع بما في ذلك التعليم. قلت إن الوعي العلمي المعرفي بضرورة تنوع التعليم هو اعتراف صريح وخطوة في طريق الإبداع لعلاقات جديدة بالمتعلم باعتباره فرداً مستقلاً له خصوصية في التعلم والمقاربة والإدراك. وفق أسلوب فريد في التناول للمعرفة والحياة باعتماده طرائق واستراتيجيات تبلورت في سياق لساني وسوسيوثقافي شامل (لا يمكن الحديث عن تنوع التعليم ادا كنا لانؤمن بتنوع التعلم ولا يمكن أن نؤمن بتنوع التعلم ادا كنا لا نؤمن بالفروق الفردية ولا يمكن تبرير نمطية التعليم وأحاديته ادا كنا نؤمن بالفروق الفردية)²⁷. فممارسة تنوع التعليم يعني استحضار جدلي لتنوع التعلم ووعي بالفردية والذاتية والاستقلال مما يتيح الفرص للخلق وإبداع علاقات ايجابية بالمتعلم والمعرفة وبين المتعلمين أنفسهم. اليوم تطرح ضرورة إنهاء الإتياع والتسلط والخوف الذي يميز مجتمعا بالتخلف والتلقين والاجترار النمطي إلى درجة الوسواس القهري (يحس الشخص بان الفكرة إنما تحشر نفسها في وعيه رغما عنه ويوقن بالطبع أن مصدرها هو عقله لكنه يحس بأنها غريبة عليه لأنها عادة ما تكون مخالفة بشدة لتوجهات هذا الشخص ومبادئه ومشاعره)²⁸. ضرورة الخرق والتجاوز والخروج عن المألوف كضرورة إبداعية ليست نابعة من الرغبة الذاتية في التحول والتغيير والتقدم فحسب بل هي أيضا ضرورة موضوعية نابعة من الجدلية الحضارية الراهنة لما بعد عصر التكنولوجيا التي لا ترحم الجهلة ولا فقر المناعة المعرفية (اجل لا حضارة بلا إبداع والإبداع هو أداة التغيير وسبيل الاكتشاف العلمي ومادة العمل اليدوي والتقني وعدة الأديب والفنان والمفكر. ومحرك كل عمل إنساني ذي شان. انه الوقده الانفعالية التي تستخرج من الأشياء دوما معاني جديدة وبنى جديدة وقد بين علماء النفس المحدثون انه لا يرتد إلى الذكاء بالمعنى المألوف لهذه الكلمة فهناك فيما بينوا الذكاء المقارب وهو الذكاء المألوف الذي ينصب على معالجة المشكلات وحلها وهناك الذكاء المباعذ الذكاء الذي يكشف دروبا جديدة ويفتق أفكارا طريفة ويحلق في عالم الرؤى والأخيلة. يصوغ منها مبتكرات غير مألوفة ويولد معاني أبارا وأفكارا مولدة وأشياء محدثة وهو كما يبينون أيضا

صنو الخيال، الخيال المبدع)²⁹ الشيء الذي يتطلب التفكير بجدية ومسؤولية في الانخراط في هذه السيرورة من خلال بناء الاقتدار المعرفي كشرط أساسي في التأسيس والانطلاق للروح الإبداعية. بتوفير مقوماتها كتنمية التفكير العلمي وتشجيع المبادرة والمشاركة المنتجة للاستقلال الذاتي المؤسس على التفكير المنطقي العقلاني، ونهج أسلوب البحث والعمل في الفريق كإستراتيجية للتعلم بعيدا عن المعرفة الجاهزة التي يتيحها الكتاب المدرسي. وهي معرفة مقطوعة الأوصال والروابط كما أنها مفصولة عن سياقها التاريخي الاجتماعي والمعرفي العلمي. (وهناك بهذه المناسبة أسطورة لا بد من القضاء عليها وهي أن المعرفة الحقيقية لا يتم نيلها إلا اذا جردت من سياقها. ونحن نؤكد أن الكثير مما نشاهده اليوم من صعوبات التعلم ينبثق من إهمال السياق)³⁰. كأن المعرفة لا تعرف معاناة المخاض والسيرورة والسقوط والنهوض. في حركة لولبية لا تنتهي من التعديل والتطوير أو التحول الجذري. فتاريخ المعرفة لا تفارقه حركة الانفصال والقطائع الاستمولوجية. إنها جدلية الإبداع لا التلقين والحفظ والتخزين أو الإكراه والتقليد والإتباع. لهذا (يتطلب في بلادنا تغييرا جذريا في علاقة المتعلم بالمعرفة كيف يحصل عليها بجهد ذاتي وكيف يستوعبها استيعابا واعيا وكيف يوظفها في حياته وكيف يولد من تلك المعرفة معارف أخرى. وبهذا يصبح إبداع العقل هو في توليده الأفكار وقدرته على إنتاج المعرفة الجديدة لا مجرد خزنها في الرؤوس دون إلمام بها ودون استخدامها وتمثلها)³¹ إن المهمة المطروحة علينا اليوم هي كيف نعرف، لا ماذا نعرف أي أن نعلم الطفل كيف يتعلم ذاتيا بتنمية مهاراته الذهنية التي تمكنه من ممارسة تعلم حقيقي. فبناء العقلية العلمية المنهجية عند الطفل تأخذ أبعادها وأسسها وديناميتها من خلال هذا المنظور للتطور والتغير والتحول في السيرورة المعرفية والاجتماعية، وفي الوقت نفسه من خلال أشكال جديدة للعلاقات مع المعرفة المستهدفة للتعلم في إطار علاقات تواصلية نفسية وتربوية، تؤطرها فريدة وتميز وخصوصية الطفل ككائن إنساني. هل نحن مجبرون على التغيير في الرؤى والمنظور والأفكار أم أن الموروث والتقليد والإتباع قادر على طرح بدائل حيوية وحية متطورة. نحن الآن في مرحلة تاريخية وحضارية لا يمكن التوقف ولا الرجوع إلى الوراء. لا يمكن الهروب أو الاختباء فإما أن نصاب بالتبذير والضياع وفقدان الذاكرة أو نواجهه ونجابه في أفق بناء الذات الفاعلة الحرة المبدعة القادرة، على تغيير شروط عيشها وتفكيرها. فالجدل راهنا لا يسمح بالمزاوجة بين التبذير والمواجهة ولم يعد هناك متسع حتى للمقاومة بالحيلة³². فالمرحلة التاريخية واللحظة الحضارية تزامنا وتدفع نحونا بشراسة والعالم صار صغيرا إلى درجة لا يسمح بالاختباء أو الاحتماء بالماضي. بعبارة واضحة انكشفنا ولا داعي للحجاب أو النقاب (ربما كانت المسألة الأساسية المطروحة الآن على الفكر العربي

المعاصر هي مواجهة ذاته من دون مناورة أو مداورة. لقد آن الأوان لخوض المعركة الأساسية معركة الذات ضد الذات... فالذي لا ينتصر على نفسه لا ينتصر على أي شيء. ويحلولي هنا أن لخص الوضع الكامل بعبارة وحيدة لديكارت يقول فيها لكي يتوصل المرء إلى الحقيقة ينبغي عليه مرة واحدة في حياته أن يتخلص نهائيا من كل الآراء الشائعة التي تربي عليها وتلقاها من محيطه ويعيد بناء أفكاره بشكل جذري من الأساس. إن العقل العربي المعاصر مدعولان يكتسب حرিতে والأرضية التي يقف عليها شبرا شبرا ويدفع ثمن ذلك باهظا. ذلك انه يراهن على مصيره لا أكثر ولا اقل.³³

يعتبر الشك والتساؤل والنقد والبحث والتجريب والمناقشة بمثابة الأدوات المفاهيمية التي تجعل الطفل حرا في تعلمه وممارسة حياته. اذ يميل إلى الاعتماد على النفس والتعلم الذاتي رافضا الوصاية متمسكا بجرأة السؤال والاعتراض دون خوف من العقاب والمجهول، راغبا في الإبداع والخروج عن المألوف والتلقين وذلك تعبيرا عن الاستقلالية والتفرد، مما ينمي قدرته المعرفية وعقليته العلمية في الفهم والاستيعاب وحل المشكلات التعليمية والحياتية. ولاننسى المشاركة التي تؤسسها الصحة النفسية المتينة من خلال الثقة في النفس، التي تؤهل للحوار والتواصل والتفاعل الخلاق والمبدع بين المتعلمين والمعلم والمعرفة المراد دراستها، في جو من الحرية والحيوية والأخذ والعطاء المتبادل عوض التلقين والاستماع المولد للرتابة والعجز. هذه الوضعية توفر فرص النماء والإبداع فهي تحرر الطفل والمعلم من استيلاء التلقين، الذي يجرد الإنسان من شخصيته الإنسانية حيث يتعامل معه كخزان أو بنك معلومات. (إن التمرکز على المتعلم سيغير من طبيعة العلاقات البينية التي تربط رباعية المتعلم- المعلم - المنهج- المنهجيات وسيطلب أيضا بنية تعليمية متجاوبة مع مطالب المتعلم وقدراته. هذا فيما يخص المتعلم أما بالنسبة للمعلم فيجب أن توفر له هذه البيئة التعليمية مزيدا من الحرية في اختيار مادة الدراسة وأسلوب تقديمها وعرضها)³⁴.

2 - مسامير للذاكرة أو حرقه الأسئلة

يتضح أن العلاقات التربوية والبيداغوجية الحديثة التي تؤسس للتفكير الايجابي والتصرف البناء، أصبحت ضرورة مجتمعية وتربوية، تفرضها إكراهات وتحديات المرحلة التاريخية واللحظة الحضارية، حيث يجب أن ن فكر عالميا ونتصرف محليا من موقع الحصانة والمناعة الذاتية والانفتاح الخلاق والمنمي. (فالباحث مطالب باعتناق الموقف الفكري العالمي الجديد كما يعتنق الإنسان دينا ما. بمعنى انه ينبغي أن يحصل تحول نفسي

ومعريف في داخله تحول يحرره من كل العصبية الضيقة ويجعله يستشعر هموم العالم ككل أو يستوعب ثقافات العالم وليس فقط ثقافته الخاصة³⁵. سؤال آخر يضغط باتجاه التوتر والقلق النفسي، يتمثل في غياب تفعيل المؤسسة الوظيفية، وسيادة ثقافة المكانة والحظوة التي تسمح باستفادة البعض، على حساب الآخرين في التعيينات، الانتقالات، الترقيات.. مما يؤثر سلبا على باقي العلاقات والتفاعلات ويسمم أجواء المناخ المدرسي والتربوي، لأن سؤال المصادقية والنزاهة يطرح نفسه بإلحاح. حين تسقط الكفاءات الديدانكتيكية الميدانية وتعتلي منصة الترقيات المادية والمعنوية الهشاشة العقلية والمسلكية والتربوية (فالهشاشة النظرية تؤدي بالضرورة إلى هشاشة مسلكية وعملية)³⁶ فتسود الانفعالية عوض العقلانية، التراخي عوض الجدية، الاستهتار والعنف عوض ثقافة الجهد والجد والصبر في بناء الذات معرفيا وثقافيا «حين لا تكون المعرفة هي السبيل إلى بناء المكانة المستقبلية فان حظوظها في النمو الفعلي تكون متواضعة»³⁷

ولتحقيق علاقات تربوية بيداغوجية إيجابية لا بد من تغييرات تمس المجتمع بصفة عامة في تمثلاته حول الطفل ككائن إنساني مستقل يحتاج إلى التقدير الايجابي اللامشروط، كما يؤكد روجرز وجون بولبي في حديثه عن نظرية التعلق بين الطفل والأم ثم العائلة والمحيط.

إلى جانب ما تؤكد عليه الطروحات النفسية فرويد وميلاني كلاين. «يقول وستن إن فهم الإنسان يتطلب الاهتمام بتكوينه البيولوجي وخبراته النفسية وإطارة الثقافى»³⁸ الجميع يلح على العلاقات الايجابية مع الطفل وهذا لن يتأتى إلا من خلال تغيير النظرة تجاه المرأة كإنسانة حرة ومبادرة وفاعلة بدل تقييدها فكريا وتهميشها اجتماعيا. لا بد من فتح فرص النماء والعطاء والتفاعل الخلاق في وجهها.

فالطفل السعيد أسريا هو القادر على التفاعل الايجابي مع محيطه الاجتماعي والمدرسي، والشيء نفسه بالنسبة للمدرس الذي خضع لتكوين معرفي علمي وتم تحفيزه وتشجيع مبادراته المهنية والبحثية، فالمدرس الذي يتمتع بثقافة تربوية مواكبة للمستجدات المعرفية ومصححة وبناءة للممارسات الميدانية الديدانكتيكية، هو المؤهل لفهم الظواهر والمشاكل التي تصادفه يوميا بتحليل عقلائي نقدي، لأنه صاحب ذهنية علمية مرنة عوض الجهل الذي يرسخ التصلب العقلي وطغيان الأحكام المتسرفة، والانفعال الوجداني المرافق للتوتر والعنف اللفظي والحركي في العلاقات والتفاعلات التربوية والبيداغوجية والمجتمعية.

فمثلا كيف يتصرف المدرس في غياب تكوين معرفي علمي، أمام مشكلة صعوبات التعلم التي قد تكون نفسية اضطرابية، فيزيولوجية، تخلف عقلي إصابات دماغية صريحة او كامنة

أ، اجتماعية، غذائية.. فالمدرس في مثل هذه الأوضاع يتصرف وفق ثنائيات نمطية : مجتهد/ كسول ، منتبه /شارد، مهذب جاد/مشاغب وقح...للأسف فنحن في الألفية الثالثة وما نزال نستعمل مصطلح «الكسول» بدلالاته وشحناته القاتلة لمعنويات الطفل وإقصائه من دائرة الكينونة الإنسانية كحالة شاذة تستحق العزل والتعذيب... أن تفكر المدرسة مشاكلها بنفس المفاهيم والأفكار والآليات واللغة السائدة خارج أسوارها، فذاك يعني أن أشياء كثيرة تنقصنا ومجهودات كبيرة تنتظرنا للانطلاق والانخراط، في النقد والنقد الذاتي بصدق وصراحة قصد تغيير العقليات والعلاقات والتفاعلات التربوية والبيداغوجية. ولا ننسى أن «نرجع ببطء التعلم إلى تزايد أعداد التلاميذ داخل الفصول المدرسية وتراكم الجداول الدراسية وتضخم في المقررات وضغط الساعات المدرسية وكثرتها مما لا يعطي راحة للمتعلمين (...) أو إلى عدم ملاءمة المواد الدراسية لحاجات المتعلمين ونفورهم منها. وقد نرجع ببطء التعلم أحيانا أخرى إلى الطرق التربوية و التعليمية السلبية المتبعة في بعض الأحيان مع المتعلمين وعدم فعاليتها في استثارة الدافعية لديهم»³⁹

إن حسن النية لم يعد يكفي في التربية والتعليم والتنشئة المجتمعية ،لابد من معرفة نظرية وخبرة ميدانية ومجتمعية تسند الممارسات التربوية والتعليمية، مما يفسح المجال لتوسيع الرؤية وانفتاح المنظور، على مختلف الوجوه والاحتمالات. والقبول بالحوار والجدل والسؤال والتواصل والاختلاف والنقد كمقاربة تواصلية تشاركية، فيها أخذ وعطاء بأسلوب يعتمد تنوع وتنوع الإستراتيجية التعليمية التعلمية. مراعي الفروق الفردية لإنصاف التعدد والتمايز الحاصل في كل فصل دراسي باعتماد مقاربات مختلفة كالذكاءات المتعددة والفارقية...عوض التعامل مع القسم ككتلة منسجمة متراسة. وتجنب إسقاط الأحكام المتسرعة وأحكام القيمة والمعيارية النمطية في تصنيف التلاميذ ، أو في تقويم أعمالهم. والتخلي نهائيا عن تقويم عمل الطفل بلغة التنقيط لأن ذلك يسيء كثيرا إلى نمو شخصيته في أبعادها المختلفة معرفيا، عقليا وجدانيا واجتماعيا. وفي الأخير نود أن نشير إلى ضرورة تحسيس المدرس انه ينتمي إلى مناخ تربوي كفاعل أساسي في عملية التفكير والاقتراح والفعل على مستوى المجالس التربوية والتدبيرية بدل أن يسود المنطق الصوري في إنشاء وتأسيس مثل هذه المجالس. وان لاتهمش الأفكار والاقتراحات التي تصاغ وتطرح مما يخلق حالة من التبرم والنفور، من أي جهد في هذا المجال مادامت النتائج معروفة ومحسومة، بلغة إدارية قهرية بدل الإشراف والتشارك والتفاوض... وان الأوان أن تحمل اللقاءات والندوات التربوية مضمونا جادا وقيمة مضافة. لا أن تكون مجرد لقاءات تمر بطريقة تقليدية جافة. يحكمها هاجس السرعة وكأن الجميع عازم على التخلص منها في أسرع وقت ممكن كعبء ثقيل يجب طرحه. لا نلمس رغبة ولا

اهتماما بأهميتها وبأهمية المعرفة التي ستمخض عنها. جميع الأطراف تنظر بعين الريبة والاستهتار. سؤال آخر يطرح نفسه متى سنفكر في (محو الامية الإعلامية والقيام بحملة توعية وتدريب شاملين على صعيد تأهيل الأهل لتوجيه مشاهدة الأطفال وتحويلها إلى عملية شغل ثقافية. كما على صعيد تدريب المعلمين وإعدادهم، وصولاً إلى تحويل الإعلام المرئي إلى مادة دراسية مقررة)⁴⁰

صحيح أننا في بداية الطريق لكن المدرس الجاد والمبدع إلى جانب أن تتحمل الأطراف الأخرى مسؤوليتها وفق ما اشرنا إليه سابقاً. كل هذا قادر على صنع المستحيل من خلال الإرادة والثقة في الذات والرغبة في تجاوز القديم، وتجسيد الأفكار والقناعات والمواقف التي تتضمنها العلاقات التربوية والبيداغوجية الحديثة. هذا هو مسار النجاح المفتوح النهاية الذي على مدرسة النجاح أن تتخرط فيه بجدية اذا أردنا أن تكون لنا مكانة وموقع فاعل بناء ومشارك في صناعة المسار والمصير على الصعيد العالمي.

الهوامش

1 - محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ترجمة هاشم صالح دار الساقي ط 2 س 2002 ص

15

2 - مجموعة من الباحثين حال الأمة العربية مجلة المستقبل العربي ع 207 س 1996 ص 38

3 - د.حسن إبراهيم عبد العال التربية الإبداعية دار الفكر ط 1 س 2005 ص 32

4 - مصطفى صفوان - عدنان حب الله إشكاليات المجتمع العربي ط 1 س 2008 ص 177

5 - ادونيس مقدمة إشكاليات المجتمع العربي ص 15 و 16

6 - د.مصطفى حجازي الصحة النفسية ط 1 س 2000 ص 134

7 - مصطفى صفوان عدنان حب الله إشكاليات المجتمع العربي مرجع مذكور ص 120

8 - ادونيس مقدمة إشكاليات المجتمع العربي ص 20

9 - د.يزيد عيسى السورطي السلطوية في التربية العربية عالم المعرفة ع 362 س 2009 ص 26

10 - د.نخلة وهبة جودة الجودة في التربية منشورات مجلة علوم التربية ط 1 س 2005 ص 82

11 - مصطفى صفوان عدنان حب الله إشكاليات المجتمع العربي ص 220

12 - د.احمد اوزي الإيقاعات البيولوجية والنفسية والمدرسية وبطاء التعلم مجلة علوم التربية

ع 13 س 1997 ص 17

13 - المهدي المنجرة جيمس بوتكين مرسياماليتزا من المهد إلى اللحد التعلم وتحديات المستقبل

ص 168

14 - هشام شرابي مقدمات لدراسة المجتمع العربي ط 3 س 1980 ص 53

15 - ceque parlerveutdire leconomie des échanges linguistique Fayoud Paris 1984p 104

- 16- عبد السلام بن عبد العالي ميثولوجيا الواقع ط1س1999ص54
- 17 - التقرير التركيبي للبرنامج الاستعجالي 2012-2009ص38
- 18 - د.يزيد عيسى السورطي السلطوية في التربية العربية ص 142
- 19 - د.نبيل علي العقل العربي ومجتمع المعرفة الجزء 1 عالم المعرفة ع369س2009ص198
- 20 - محمد شقرون سوسولوجيا الأسرة مجلة افاق التربية ع4س1991ص14
- 21 - بن احمد حوكا انثروبولوجيا الوقائع الاجتماعية والبيولوجية في نظام الحالة المدنية مجلة وجهة نظر ع38س2008ص62
- 22 - د.مصطفى حجازي علم النفس والعولة ط2س2007ص38
- 23 - المرجع نفسه ص232
- 24 - محمد سبيلا شروط إمكان انبثاق الفرد في مجتمع تقليدي في طور التحول ماخوذ من موقع مدارات
- 25 - د. نبيل علي العقل العربي ومجتمع المعرفة مرجع مذكور ص 301
- 26 - علي حرب مسألة الحرية مجلة عالم الفكر ع3مجلد33يناير مارس 2005ص13
- 27 - د.نخلة وهبة جودة الجودة في التربية مرجع مذكور ص86
- 28 - د. وائل أبو هندي الوسواس القهري عالم المعرفة ع293يونيو2003ص18
- 29 - د. عبد الله عبد الدائم تطور التربية العربية مجلة المستقبل العربي ع85مارس1986ص88
- 30 - المهدي المنجرة جيمس بوتكين مرسيا ماليتزا من المهد إلى اللحد التعلم وتحديات المستقبل ص168
- 31 - د. حسن إبراهيم عبد العال التربية الإبداعية مرجع مذكور ص126
- 32 - إشارة إلى كتاب جيمس سكوت المقاومة بالحيلة ترجمة إبراهيم العريس ومخايل خوري
- 33 - هاشم صالح مخاضات الحدائة التنويرية دار الطليعة ط1س2008ص340
- 34 - د. نبيل علي الثقافة العربية وعصر المعلومات عالم المعرفة ع265يناير2001ص337
- 35 - محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ترجمة هاشم صالح مرجع مذكور ص326
- 36 - د. محمود أمين العالم الفكر العربي بين النظرية والتطبيق عالم الفكر ع3و4س1998ص369
- 37 - د. مصطفى حجازي علم النفس والعولة مرجع مذكور ص 238
- 38 - د. مصطفى حجازي الصحة النفسية مرجع مذكور ص94
- 39 - د. احمد اوزي الإيقاعات البيولوجية والنفسية والمدرسية وبطء التعلم مرجع مذكور ص13
- 40 - د.مصطفى حجازي حصار الثقافة المركز الثقافي العربي ط2س2000ص197